قصص قصيرة

محمد منصور، حنون مجيد، لينا الحاج معلاّ،
علي خيون، محمد عبد الوهاب، ابتسام عبد الله

ما له صاحب

[من أحوال الوسط الفني السوري]

محمد منصور

بدأتْ أُولى بوادر الكارثة، حين استبدَّ هوَسُ الكتابة بالسيِّد «فتحي سرسوقة» الملقّب بأبي فوزي، صاحب ملحمة «الخِلّ الوفيّ»، ومالك بيت الأجرة الذي كنتُ أسكنه في الحيّ نفسه.

في البداية، اتّجه أبو فوزي لكتابة القصّة، فراح يقصّ على زبائنه «شي صار وشي ما صار». ثم حاول أن يقرض الشعر بالطريقة نفسها... وبعد جهد جهيد استطعتُ أن أقنعه بأنّ للكتابة الأدبية أهلَها وناسها، وأنّها كمهنة الجزّار – مهنةٌ لها أصولها ومتطلّباتها–، وأنّ في الأدب ما يسمّى بـ«اللُّغة»، وأنّ من شروط الكتابة: إتقان قواعد النحو والإملاء، ومعرفة معاني المفردات ودلالاتها اللفظية والمجازية، وما إلى ذلك.

المهمّ، وبعد طول معاناة، اقتنع السيّد سرسوقة، وصرف النظر عن هذا الهوس الغريب الطارئ، وعاد إلى دكّانه، ولاسيّما بعد أن أيقن أنْ لا أمل في نشر مثل هذه الأشياء في الصحف والمجلاّت... كما أخبرتُهُ أنّ الصحيفة التي أعمل فيها لا تنشر إلاّ قصص الكتّاب المشهورين وأشعارهم.

كان ذلك منذ ستة أشهر على ما أذكر. لكن منذ أيّام فوجئتُ بأبي فوزي يطرق بابي بعد منتصف اللّيل – لمعرفته أنّني أقضي ليلي في الكتابة – ويدعوني بتهذيب جمّ إلى «زوج كلام» على فنجان قهوة!

أصارحكم أنني لم أكن مطمئناً لهذه الدعوة المفاجئة، وفي مثل هذا الوقت بالذات؛ فقد خشيت أن يكون «زوج الكلام» هذا له علاقة بأجرة البيت، أو بتجديد عقد الإيجار أو ما شابه. حاولتُ أن أعتذر عن قبول الدعوة.. إلاّ أنّ أبا فوزي حلف بالطلاق وبالثلاثة، وبأنّه لن ينام مع أيٍّ من زوجتيْه الليلةَ إلاّ إذا شرب القهوة معي!

حين دخلتُ غرفة الاستقبال في بيته، فوجئت بأكداس من الورق تعلو الطاولة وقد ضُمَّتْ بعضُها إلى بعض بطريقة فوضوية. وسرعان ما قرأ «أبو فوزي» علائم الدهشة والاستغراب على وجهي فبادرني قائلاً:

– لا يروح فكرك لبعيد يا أستاذ... أنا وعدتك أن أترك الأدب وفنونه.. ولكن، يعني، لا تؤاخذني، قرّرت صير كاتب تلفزيوني.

وحين حاولتُ أن أشرح للسيّد سرسوقة بعضَ ما سيعترضه من عقبات، وضع يده على فمي وتابع بحسم:

– أستاذ كتبتلّك، بالعامية... يعني لا تقول نحوي وإملاوي.. ايه، عليّ الطلاق، هذا المسلسل إذا ما بيقتل هيثم حقي حالَه على إخراجه، حرام يكون فوزي ابني!

وقبل أن أرتشف رشفةً ثانية من فنجان القهوة، دفع إليّ بحلقات المسلسل التي تنوف على العشرين.. وقال لي:

– بكره الصبح، قبل ما تروح ع الجريدة، بتجي تشرب عندي فنجان قهوة، وباخُدْ رايَك بالمسلسل. أستاذ، هذا مسلسل من واقعنا، اللّه وكيلك، سمّيْته «يوميّات لحّام». يعني اللي كتبوا «يوميات مدير عام» ومثّلوه ما هُمْ أحسن منّي.

أوضحتُ لأبي فوزي أنّه من المستحيل أن أنتهي من قراءة المسلسل بحلقاته العشرين حتى الصباح، فأعطاني يوماً إضافياً، وضرب لي موعداً على الغداء، واعداً بأحلى أكلة كباب.. لأحلى أستاذ!

**

انتهيت بشقِّ النفس من قراءة المسلسل في الموعد المحدّد، وقد حاولتُ التملّص من «غداء العمل» هذا تجنّباً للإحراج الذي سينشأ من المفارقة الحادّة: بين رأيي في كتابة المسلسل من جهة، ورأيي في الكباب اللذيذ الذي يصنعه «أبو فوزي» بمُعَلميّةٍ لا يُعلى عليها من جهة أخرى. لكنّني لم أنجح في ذلك على الإطلاق، مثلما لم أنجح في أن أقول رأيي بصراحة. فكلّما أردتُ أن أبدي ملاحظةً سلبية، كان «أبو فوزي» يبادر إلى إسكاتي بسيخ كباب. وإذا ما استطعتُ أن اقتنص فرصةً للكلام بين سيخ وآخر، فإنّه كان يعرف كيف يعارضني بشدّة، وكيف يجيّر كلامي لمصلحة المسلسل لا ضدّه!

المهم أيقنتُ أنْ لا أمل في الكلام، وأيقنتُ كذلك أنْ لا ضَيْر في ذلك، مادام هذا المسلسل لن يظهر إلى النّور إلاّ بمعجزة خارقة أو مهزلة كبرى.. وسينتهي إلى دكّان أبي فوزي: ورَقَ صرٍّ لا غير!

**

الآن لا تسألوني كيف ظهر المسلسلُ إلى النور. فكلّ ما أعرفه أنّ السيّد «سهيل السالك» عضو لجنة رقابة النصوص، الذي كان يقطن في الحي المجاور، كان يتردّد على ملحمة «الخِلّ الوفيّ» بكثرة في الآونة الأخيرة، ثم يخرج محمَّلاً

بأشهى أصناف اللحوم دائماً.

ويبدو أنّ السيّد السالك قد وضع لمساته الدرامية على النّص، وأقنع السيد سرسوقة بأن ينتج المسلسل بنفسه. وهكذا فوجئتُ ذات صباح بالحارة التي أسكنها وقد تحوّلتْ إلى استوديو.. وبدّل «أبو فوزي» اسم دكّانه من «الخل الوفي» إلى ملحمة «تي في» ووقف خلف الرفّ، وبيده الساطور يمثّل أحد الأدوار الرئيسية في العمل.

**

عُرض المسلسلُ في دورة شهر رمضان، وقد اختارت دائرةُ التنسيق في التلفزيون أفضلَ الأوقات لعرضه. وأشاد مدير الدائرة، الذي عرف مذاقَ لحومات «أبو فوزي» الشهيّة، في تقريره عن المسلسل بالصبغة الواقعية المحضة التي تفوح من العمل، وبعناصر البيئة التي استطاع إبرازها بغنى وتميّز لافتين.. مشيراً إلى هذا التطابق النادر بين مهنة «الكاتب» والأجواء التي تدور فيها أحداث العمل!

وأمام إلحاح «أبو فوزي» المتكرّر، وإدماني على كتابة النقد التلفزيوني، لم أتمالك نفسي من الكتابة عن العمل.. بل شعرت بقدر غير قليل من الحماس حين أثنى جارنا العزيز على كتاباتي الصّحفية، وعلى نقدي «المعدّل» للمسلسلات الهابطة كما يقول.

صباح اليوم التالي لصدور المقالة في الجريدة، فوجئتُ بالسيّد سرسوقة، يعترض طريقي، خارجاً من محلّه، والشررُ يتطاير من عينيه. بادرتُه بابتسامتي الودودة المعتادة، والقيتُ عليه تحيّةَ الصباح فلم يردّ... بل نظر إليّ شَزْراً، وقال بنبرةِ غضبٍ واضحة:

– أستاذ... بعد بكرة بينتهي عقد الإيجار... معك مهلة أسبوع لتسلّمني البيت... يا ريت تشوف حدا غيرنا!

حاولتُ أن أستفسر من السيّد فتحي سرسوقة عن السبب، فلم يترك لي مجالاً لذلك. وحين لحقتُ به إلى الدكان، كان السيّد سهيل السالك يجلس في أحد أركانها، وبيده الجريدة... لم يفاجأ حين رآني، بل رفع رأسه بأستاذية الكبار، وألقى عليّ تحيّة الصباح بهدوء وودٍّ شديدين.

حين خرجتُ من الدكّان، متابعاً طريقي إلى الجريدة، كان صوت «أبو فوزي» يلعلع في الحارّة. وكانت آخرُ عبارة لامستْ أذنيَّ قبل أن أصل المفترق:

«واللّه شغلة... قاعد بحضننا وعم ينتفْ بدقنّا... قالْ: نَقد... قالْ!!».

**

منذ أسبوع وأنا أحاول العثور على بيتٍ جديدٍ للإيجار... صديقي الذي قرّر استضافتيَ في بيته تقديراً لأوضاعي الإنسانية الصعبة، يعكف على إنهاء مسلسله التلفزيوني الأوّل. وبدافع الفضول اطلّعتُ على بعض حلقاته... ولا أعرف ماذا أفعل الآن.

سوريا

٨ قصص قصيرة جداً

حنون مجيد

١ - ملل

هو لا يحب التصفيق. بيد أنّه، لنزوة طارئة، ابتاع منحوتة لكفين تصفقان وعلّقها على الجدار. منحوتة صغيرة ذهبية اللون، الكفان فيها رشيقتان رقيقتان، كلّما التفتَ نحوها الفاهما تصفّقان بهمس جناحيْ طائرٍ ثملٍ بالطيران.

ذات مساء، عاد إلى بيته فلم يجدْ من المنحوتة غيرَ حطام أسفلَ الجدار.

وتوجّس الآخرون، لكنّه أجاب:

– لا حزن.. لقد اعتراهما الملل، فكفّا عن التصفيق.

٢ - نزوة صغيرة

يقطع شارعاً عريضاً يربط بين مدينتين متجاورتين. تواجهه أعمدةٌ كهرباء نُصبتْ حديثاً، غُرزتْ أطرافُها السفلى في حفر مناسبة مُلئت بكتل كانت ماتزال طَرية من السمنت.

يقع بصره على قاعدة أحاطت بعمود بعد أن صُقل سطحها جيِّداً، وارتفعتْ قليلاً عن مستوى الرصيف. كان السطح أملس ناعماً تنتاب خضرتَه الدكناء لمعةٌ زعفرانية شديدة الاصفرار.. سطح أخضر مستو تماماً لامع أحياناً مثل ورقة نبات كبيرة طريّة خضراء. يقترب منه.. يمسح بنظره جوانبَ الشارع المقفر من النّاس.. يقترب أكثر.. يُطلّ عليه إطلالةَ طفلٍ على فوهة بئر.. يهتزّ جسده الكبير وتضطرب أطرافه.. يتلكّأ كثيراً أو قليلاً قبل أن يرفع قدمه عن الأرض ويطبعها عليه.

تنطبع صورةُ أسفل الحذاء المحزز أفقياً وكذلك صورة الكعب المحزَّز عمودياً.. تغمره فرحة صغيرة.. فرحة صغيرة غامضة تطفو على سطحه، وهو يرى صورة حذائه منطبعةً على السطح السمنتي نظيفةً غير مشوّهة.

يسحب نفسه بهدوء. ثم يواصل طريقه مسرعاً للأمام. هناك تمتد الأعمدة معه على طول الطريق، عموداً بعد عمود، تطالعه على سطوح قواعدها، التي مازالت طريّةً، آثارُ أقدام صغيرة لأطفال وقطط وكلاب.

٣ - لحم ازاء لحم

في سير متتابع حثيث، مضى ماسحاً الرصيف بنظرات زائغة متشمِّماً أرضه بلهفة غير مألوفة. وأطلّ عليه.. كان دكاناً